

المقطف

الجزء الثالث من المجلد السابع والعشرين

١ مارس (آذار) سنة ١٩٠٢ - الموافق ٢١ ذي القعدة سنة ١٣١٩

رجال المال والأعمال

جون رُكْفَلر اغنياء اميركا

وصفنا هذا الرجل باغني اغنياء اميركا ونحن مرتابون في صحة الوصف الآن ثلاً يكون في طيات تلك البلاد اناس زاد غناهم على غناه من العام الماضي الى هذا العام . فقد قُدرت ثروته في العام الماضي بخمسين مليوناً من الجنيهات وبلغت ارباح شركة البترول التي هو رئيسها ومالك اكثر امهها ستة عشر مليوناً من الجنيهات ولكن اميركا التي انشأته من العدم وابلغت ثروته الى هذا الحد لا يكبر عليها ان ترفع رجلاً آخر فوقه في سنة من الزمان ما دامت خيراتها وافرة وما دام ابناؤها في مقدمة الامم همة واقداماً

قلنا ان اميركا انشأته من العدم والاولى ان تقول انه هو انشأ نفسه . ولد فقيراً مترباً لا يملك شروى نقيير وابوه فلاح صغير فعمل بالفاس والمحراث الى ان صار عمره ست عشرة سنة وحينئذ ترك الزراعة وسار الى مدينة اسمها كليفلند لعله يجد عملاً فيها فدخل في احد المكاتب التجارية صانعاً وفتح عينيه وذهنه فرأى ووعى واستفاد خبرة ودربة . قال بعد ذلك "اني لا انسى تلك السنين حين ابتدأت عملي في مدينة كليفلند صانعاً فتعلمت كثيراً من اساليب ادارة الاعمال واهم ما استفدته ان العالم كبير وميدان العمل واسع . وكانت امالي كبيرة ومطامعي كثيرة ورأيت اني لا اتال شيئاً منها الا بالتعب الشاق " . فكذلك وتعب ولم تنبسط المشاق همة ولا اقتصر على العمل بل قضى دقائق الفراغ في تهذيب عقله وتوسيع معارفه وكان يشكر ربه لانه وُلد فقيراً فاضطر الى العمل والكدح وقد قال في هذا الصدد " ان الذين يولدون في المدن الكبيرة لا يضطرون ان يكافحوا كفاحنا نحن اولاد الارباب وهذا مما

يضعفهم ويقرّبنا ولذلك نجد أولاد الأرياف الفقراء يزاحمون أولاد المدن الأغنياء ويحلون محلهم لأنهم أقدر على العمل وسبر على المشاق وشظف العيش فلا يستطيع أبناء المدن الأغنياء أن يجاروهم ولا أن يقفوا أمامهم". وقد لا يصدق هذا القول على كل أبناء المدن إذا قولوا بغيرهم من أبناء الأقاليم وتكفؤهم يصدق عليهم كهم إذا قولوا بركفؤ ابن الفلاح



جون رُكفراغني اغنياء اميركا

وأول عمل تجاري عمله رَمَتْ (طوف) من الاخشاب اشتراه وسار به في شهر اوهيو الى معمل خشب وبعده قيد فريج منه عشرة جنيهات فلما ذاق الربح جعل ينش عن عمل آخر يربح منه فنظر حوله بينة ويسرة فلم ير الا المتاجرة بزيت البترول. وكانت تجارتها في بدايتها وهي غير رابحة يقوم عليها الناس مدفرعين بشيار الامل ويعودون بصفقة المغبون. يحفر الواحد منهم بئرا فيتدفق الزيت منه تدفقاً ويحسب نفسه ملك مقاليد الثروة فيمي الزيت في الآنية

وبعث به الى الاسواق ببيع بضعة ويرفض البعض الآخر لشدة التهايب وقد يغني منه زيد ويفتقر عمرو في وقت واحد فامعن نظره في هذا الامر ورأى بفكرته الوقادة انه اذا استطاع ان يبتى الزيت ويجمله خالياً من الخطر فهناك الربح الوافر ولكنه كان صفر اليدى لا يزيد راتبه في الشهر على خمسة جنيهات فلم ير سبيلاً امامه الا الاقتصاد فانتعد في نفقته ولم يكن ينفق على نفسه سوى نصف راتبه فغاش على جنهين ونصف في الشهر في مدينة امبركية حيث اجرة العامل الصغير لا نقل عن ريال في اليوم وحيث الجنيه بثلاثة الريال عندنا حتى اذا صار عمره احدى وعشرين سنة كان قد جمع من راتبه القليل رأس مال صغير فاشترك مع شاب آخر اسمه هيوت واتجراً معاً مدة خمس سنوات فبلغ ربحه فيها التي جنيه

الى هنا سار ركفلر سير كثيرين من الشبان لانه لا يدر ان يجمع الشاب التي جنيه وعمره ٢٦ سنة اذا ابتدأ في العمل وعمره ١٦ سنة اما هو فكان يسعى الى غاية اخرى لم تبرح من بالله وهي تنقية زيت البترول حتى يزول الخطر من استعماله . ولم يحد حذو غيره من الذين كانوا يضاربون باشتياح اسهم شركات البترول حاسبين انهم يفتنون في يوم وليلة ولا شاركهم في آمالهم الفارغة بل يبحث واتمن ودقق وحقق حتى اتصل الى طريقة لتنقية الزيت فصنع معملًا لتنقيته بالاشتراك مع رجل اسمه سموييل اندروس فراج زيتهما المتقي رواجًا عظيمًا حتى اضطرا ان ينتحيا معملهما للعمل نهاريًا وليلاً ليقوما بما كان يُطلب منهما . ثم بنيا معامل اخرى بما ربحاه من المعمل الاول . ولما رأى المليون نجاحه المستمر عرضوا عليه اموالهم للاشتراك معه فاختار اليهم عريكة واقربهم الى المسألة حتى اذا كانت سنة ١٨٧٠ صار ربحه كافيًا لانشاء شركة مساهمة فانشأ شركة ستندرد اوبل وكان رأس مالها مئتي الف جنيه وكان هو رئيسها واخوه وايم ركفلر نائبًا له ورجل اسمه فلوجر كاتبًا وامين صندوق

وكان لتنقية زيت البترول معامل اخرى كثيرة ولكن معامل ركفلر فاقتها كلها في تقاوة زيتها فقام عليه اصحاب تلك المعامل حسدًا منه وقاوموه اشد المقاومة وحاولوا احباط مساعيه فلم يخل بهم بل ظلت شركته تنقي الزيت وتزيد اساليب تنقيته اتقانًا . والناس يسألون عن نوع البضاعة لا عن صفة صناعتها فراج بترول شركته اي رواج حتى اثيرت به قصور اوربا واسيا وافريقية ومدارسها وكنائسها وجرامها وبيوت عامتها

وحالما حل مسألة تنقية البترول اهتم بمسألة نقله من مكان الى آخر وكان يُنقل من الآبار الى معامل التنقية في براميل رشاحة وفي عربات ثقيلة او على الاطراف في الانهر فصنع المركبات ذات الحياض لنقله ثم مد له الانابيب الحديدية في الارض ليجري فيها من نفسه .

وكان كثيرون قد اشتموا بمد هذه الانابيب فابتاع منهم حتى مدها وحصره في شركته ووسع رأس مالها فجعله ٧٠٠٠٠٠٠ جنيه

ثم رأى امامه مشكلاً آخر لا بد من حله وهو ان معاملته لم تكن حيث يسهل نقل الزيت المنقى منها الى مراكز التجارة وكانت معامل غير تفضل معاملته من هذا القبيل فقصده ان يتاثر باساليب النقل حتى لا يستطيع احد مناظرته ونجح في ذلك . وقد اتهمه بعضهم بانه رشاش رجال الحكومة حتى ميزوه على غيره وقيل بل اقتنعهم اقناعاً بالحجة والدليل وهو الاقرب . ومما يمكن من ذلك فانه فاز باحتكار كثير من اساليب النقل واضطرت الشركات الاخرى ان تسلم له صاغرة وتحول عن مناظرته

وهذا النمو العظيم وسع نطاق شركته وجعلها تنشط في كل الولايات الكبيرة لبيع بترولها واتسع نطاق هذه المراكز فصارت شركات محلية ترتبط بالشركة الاولى المركزية وصار زمام زيت البترول في البلاد كلها بيد هذه الشركة . ولم تترك لاحد سلطة عليها فابتاعت السكك الحديدية والبواخر البحرية ومعامل الخشب والصفنج (التنك) وكل ما له علاقة بزيت البترول وتقدر حتى لا يكون قيادها يد احد غيرها وقد زادت ارباحها من هذه الاضافات كما زادت من تنقية الزيت وبعده فقد كانت تشتري برميل الخشب سنة ١٨٧٢ ستة واربعين غرشاً فلما صارت تصنعه لم يعد يكافئها اكثر من اربعة وعشرين غرشاً وهي تستعمل في السنة ثلاثة ملايين ونصف مليون من البراميل فتوفر بذلك نحو ثمانمئة الف جنيه في السنة . وتعمل الصفنج لنفسها فتوفر اكثر من مليون جنيه في السنة لانها تستعمل ٣٦ مليون صفنجية . واعنت بنفايات البترول فصارت تصنع منها الشمع الابيض الجيد وزيت الالات واقتصت نفقات التنقية ٦٦ في المئة بما استعملته من الاساليب الجديدة

ورأس مال هذه الشركة الآن ٢٢ مليوناً من الجنيهات وريجها في السنة ١٦ مليوناً من الجنيهات فاذا حسب هذا الربح على معدل ٥ في المئة سنوياً فهو يقابل رأس مال لا يقل عن ٣٢٠ مليوناً من الجنيهات

ولجون ركنلر واخيه وللمستر فلجمر واخيه وللمستر ارتشبلد اكثر امهم هذه الشركة والشركات الاخرى المتعلقة بها وتبلغ حصة جون ركنلر من ذلك كله نحو خمسين مليوناً من الجنيهات وحصة اخيه عشرين مليوناً وحصة فلجمر واخيه سبعة عشر مليوناً وحصة ارتشبلد سبعة ملايين . وبلغ ربح جون ركنلر وحده ١٠٠ مليوناً من الجنيهات سنة ١٩٠٠ ولا نظن ان ربح بيت رتشبلد كله يبلغ هذا الحد . ويقال ان ثروته زادت ثلاثين مليوناً من الجنيهات بالاعمال

التي عملها المستر مورغان حديثاً

وهذا الغنى الوافر الذي لم يسمع بمثله من سائر الدهر لم يصرف صاحبه عن بساطة المعيشة ولا جعله يعيش مثل كبار الاغنياء . ويعلم قراء المتكثف اسمه من حياته السنية فهو وهاب الملايين لمدرسة شيكاغو وغيرها من المدارس والكنائس . ويضرب المثل بقواه وقيامه في مدارس الاحد لتعليم الصغار دروساً من التوراة والانجيل . ومن اقواله المأثورة في احدي هذه المدارس في نيويورك "لا ضرر من السعي وراء الغنى لان المال من اقدر الرسايط على عمل الخير وفي الاغنياء اناس اشرار كما في الفقراء اناس اشرار ولكن اكثر الاغنياء محبوبون انفسهم امانة على اموالهم لكي ينفقوها لنفع ابناء نوعهم"

ويقوم المستر كفلر باكراً كل يوم وبأكل قليلاً وينظر في اموره الشخصية ثم ينزل الى مكتب الشركة بدير اعمالها الى الظهر قياً كل قليلاً من الخبز واللبن لانه قديماً يأكل غيرها ويروض جسمه عند العصر بالمشي او بالركوب مثل سائر الناس ولا يظهر عليه ما يميزه عن عامتهم مع ان في يده مصالغ الوف من العباد

لورد مشام

قد يرى القراء في سيرة ركفلر ما لا يستطيع احد منهم التمثل به فان الرجل نشأ في بلاد كبيرة غنية وجمع ثروته مما لا يوجد في بلادنا حتى الآن ووسعها بما في تلك البلاد من اساليب العمل واسباب النجاح قرأنا ان نشفع سيرته بسيرة رجل آخر جمع ثروته مما اصله من بلادنا من الصوف ومشاقة الحرير وليستين . وهو لورد مشام واسمه الاصلي المستر لستر ومنطلق عليه هذا الاسم الى ان تذكر ارتفاعه الى رتبة الاعيان فنقول

ولد المستر لستر سنة ١٨١٥ من عائلة وحيية وقصد والده ان يدرس الدروس الدينية ويصير من خدمة الدين وتركت له جدته املاكها مشترطة عليه ان يصير قسيساً . الا ان العصر الذي نشأ فيه كان عصر اختراع واستنباط . كانت الآلات البخارية في بداية عملها وكان كبار الصناع مكبين عليها يتقنون ويتوسعون والجمهور يحسب انها تستعمل العجائب فلم يكذب يخرج من المدرسة الصغيرة حتى اعرب عن رغبته في التجارة والاعمال الصناعية فدخل محل احد التجار وسافر الى اميركا مراراً وكان السفر اليها طويلاً الثقة بالسفن الشراعية لا يقدم عليه كثيرون فغرف من احوالها ما لا يعرفه الا قليلون . ولما صار له من العمر ٣١ سنة اشترك

مع أخيه في معمل صغير لمشط الصوف وغزله ونجده فرأى عماشط الصوف لا تفي بالفرض لان فيها خللاً ونقصاً من وجوه كثيرة فجعل يفكر في اصلاحها واول استنباط استنبطه مكوك لسج الحرير المعرق وآلة لعمل اهداب الثيلان . ثم عكف على اصلاح عماشط الصوف وهو اهم اعماله وكان كثيرون قد حاولوا اصلاحها فانفقوا اموالهم واضاعوا اوقاتهم عبثاً ولا غرابة في اهتمامهم الشديد بهذا الامر لان مشط الصوف اهم ما يكون في صناعتهم ومن استطاع ان يستنبط آلة تمشط جيداً ربح منها الالوف المولفة



لورد مشام

ولما شرع في ذلك كان عمره ٢٧ سنة وكان الصوف يمشط باليد ومشطة بها كثير النقصات وشديد الضرر على الماشطين ولم يكن احد يظن انه يمكن ان يصنع آلة تمشط الصوف كما يمشط باليد تماماً لكثرة الذين حاولوا ذلك وفشلوا . وكان رجل اسمه دونسترب قد صنع مشطه واخذ امتيازاً بها ولكنها لم تف بالمراد فرأى لسرانه يمكن اصلاحها حتى تفي به

فاشتري من صاحبها نصف حقه في امتيازها بالني جنيه ثم اشترى منه النصف الثاني بعشرة آلاف جنيه واصلح هذه الآلة كثيراً حتى ونت بالفرض المطلوب حاسباً انه هو ودونسترب المخترعان الوحيدان لها . ثم بلغه ان مخترعاً آخر اسمه كارترت اختراع آلة مثلها تماماً قبلها ونال الامتياز بها واعطاه البرنت الانكليزي عشرة آلاف جنيه اعترافاً بفضله لكن آله لم تشع لانها جاءت قبل زمانها فزاد اعجاب لستر به حتى عزم ان ينشيء له تذكاراً عظيماً فانشأه كما سيحي

ثم اصلح هذه الآلة ونوعها فتشاع استعمالها حالاً وازاد اليها آلة اخرى وهي آلة ندف الصوف القصير قبل مشطه فقامت الماشط البخارية مقام المشط باليد وهبطت نفقات مشط الرطل (اللييرة) من ثلثين وثلاث بنسات الى اربع بنسات وهذا هو السبب في رواج تجارة الصوف الانكليزية والاسترالية وفوائد ذلك تقدر بالملايين الكثيرة كما لا يخفى . ولكن المناظرين لم يدعوه يهنأ بشار اختراعه فادعوه ورائهوه الى المحاكم ولا سيما رجل الزامى اسمه هيلن ففاز لستر عليه من بعض الوجوه وفاز هو على لستر من وجوه اخرى واخيراً رأى لستر ان نفقات المحاكم والمحاميين قد تزيد على ما ينتظره من الربح فاشتري حقوق هيلن بثلاثين الف جنيه ووضع ضريبة الف جنيه على كل آلة يستعملها غيره وانشأه تسعة معامل للصوف خمسة في انكلترا وثلاثة في فرنسا وواحد في المانيا فربح اموالاً طائلة جداً وجمع ثروة وافرة من هذه المعامل وغيرها لانه صنع آلات اخرى لعمل الخمل وندف الصوف

ودخل مخزناً في لندن ذات يوم فرأى كثيراً من مشافة الحرير ولم يكن قد رآها قبلاً فقال ما هذا فقيل له مشافة الحرير فقال وماذا تصنعون بها فقيل له انها تنافى لا تصلح لشيء . فاخذ قليلاً منها بيده وفحصها وشمها وكانت وسخة فذرة مخلوطة بفضلات كثيرة مما ينفي من معامل حل الحرير كالتراشق المتقوية والديدان الميتة والزيزان الفاسدة وورق التوت وبعير الدود وما اشبه مما يسمى موانة وليست

ولم يكن يعرف شيئاً من امر الحرير وتربية دود القز فطلب ان يباع تلك النفايات فيبت صاحبها من ذلك وباعه اياها حالاً فذهب بها الى احد معامله ووضع بعض المشاق في مشطه الصوف ومشطه بها فخلصت خيوطه بعضها من بعض وتوازت وصار يسهل كب الحرير منها ورأى للحال مجالاً واسعاً للعمل والكسب فدرس صناعة حل الحرير درساً مدققاً بالنظر والعمل وظل عشرين سنة يبحث ويصنع الآلات ويغيرها ويبدلها حتى احدثى الى آلة وافية بالمراد ولكن بعد ان انفق عليها ثروته كلها تلتفت واستن الف جنيه ولم يتدبى ربحه منها

الآ سنة ١٨٦٤ . ثم صنع آلة لعمل الخد من الحرير وقد قال عنها اني لما كنت احاول عملها
خطبت خطبة في جمعية غلاسكو الفلسفية قلت فيها ان البعض يهتمون بسباق الخيل في دربي
لان الرهان فيه يبلغ اربعة آلاف او خمسة آلاف من الجنيهات ولكني انا مهتم بالآن باختراع
آلة اذا نجحت في اختراعها ربحت منها خمسين الف جنيه كل سنة وقد حاول غيري اختراعها
منذ خمسين سنة الى الآن فلم يفلحوا . ثم لما اخبرت الذين كانوا يسمعون خطبتي ان هذه
الآلة يراد بها عمل الخمل ضحكوا علي لكنني عملت الآلة بعد ثدي انا ورجل آخر وربحنا منها
يزيد الآن على خمسين الف جنيه في السنة . وقد كانت الصعوبة الكبرى في ابقاء السكنين
ماضية لقطع زغب الخمل وكنت مرة انظر من كوة مكتبي فرأيت مجلعا يجليح مقراضا فقلت
في نفسي اني اذا وضعت في النول حجر جليح اصفر من هذا التجليح السكنين عليه بقيت ماضية
لقطع التسجين اللذين الخمل بينهما تجريت ذلك فرأيتة وايضا بالمراد وهذه واحدة من مصاعب
شقي تفليت عليها انا وشريك في مدة سبع سنوات

واكتشافه هذا اعاد صناعة نسج الخمل الى انكنازها . ويصنع في معاملها الآن كل انواع
الخمل وكل نسج له خمل حتى النسيج الذي يشابه جلد الفضة والبسط الخملية على انواعها
والمسوجات الحريرية على انواعها وكلها من مشافة الحرير التي كانت تطرح من المعامل كأنها زبالة
ولما رأى ان عمله يخرج النجاح التام حوله الى شركة مساهمة رأس مالها مليون و ٩٥٠
الف جنيه لكي يشرك غيره معه في عمله وربحوا واشتري ارضا مساحتها ٣٤ الف فدان
بليون من الجنيهات وقصرا قديما دفع ثمنه وثن المراج التي حوله ٤٢٥ الف جنيه وبني بنة
نظما تذكارا لكارترت مخترع آلة النسيج اتفق عليه ٤٧ الف جنيه و ٥٠٠ جنيه
واعترفت الحكومة الانكليزية بفضلها على مناعتها فنحنه لقب لورد . شام سنة ١٨٩١
واعترف اصحاب معامل الصوف بفضلهم فصنعوا له تماثالا كبيرا نصوبه له في روض بردفورد
وهو المخترع الوحيد الذي نصب له تماثال في حياته

وقد كان الصوف يبيز ويشط ويفزل ويحاك في هذا القطر والقطر الشامي منذ الوف من
السنين ولكن ما من احد منا خطر على باله ان يصنع آلة لشطه وغزله . وكانت المشافة والليسين
والقشيرة وما اشبه من ثيابات الحرير ترمى او تبيض ويفزلها النساء بايديهن ولم يهتم احد منا
بعمل آلة لتنظفها وتفزلها . وبش ذلك بين الفرق بين اقدار الرجال ومبالغ الهمم . واذا اغنى
هذا الرجل ورفي الى مراتب الاشراف فيكون قد جوزي جزاء العامل المستحق عند من
يعرف اقدار الرجال